واسرتي

قصص للناشئين

بنات قريتنا

تأليف : عـزة سلطـان

رسوم : ماهر عبد القادر

دار الرشد

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية

سلطان ، عزة .
بنات قريتنا / تأليف عزة سلطان ؛ رسوم
ماهر عبد القادر .- ط١ .- القاهرة : دار الرشاد ، ٢٠١٠ .
ص ١٧،٣٢ x ٢٤سم .- (أنا وأسرتي – قصص للناشئين).
تدمك ٦- ١٢٣ - ٣٦٤ – ٩٧٧- ٩٧٨.
١- قصص الأطفال
٢- القصص العربية
أ- عبد القادر ، ماهر (رسام).
ب- العنوان ٨١٣،٠٢

الناشـــــر : دار الرشاد
العنـــوان : ١٤شارع جواد حسنى – القاهرة
تليفاكـــس: ٢٣٩٣٤٦٠٥
بريد إلكتروني: Dar_alrashad @ hotmail.com
رقـم الإيداع : ٤٠٣٢ / ٢٠١٠
الطبـــع : عربية للطباعة والنشر
العنـــوان : ١٠،٧ ش السلام – أرض اللواء- المهندسين
تليفـــون : ٣٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٣٢٥١٠٤٣
إخراج الغلاف : للفنان عبادة الزهيرى
مراجعـــة : محمد دياب
الطبعة الأولى : ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

زينب مثل كل البنات فى قرية «كفر بولين» إحدى قرى محافظة البحيرة.. هى فتاة جميلة ، لون عينيها عسلى ، وشعرها لونه بنى ، وطويل ، تقوم والدتها بتضفيره ضفيرتين جميلتين ، وفى الصباح بعد أن تُعِدُّ زينب الإفطار لإخوتها مجدى وحسين ومحمود ويذهبون إلى مدارسهم ، تجمع الأطباق والأوانى وتذهب إلى الباحة الخلفية للبيت وتضع الأطباق والأوانى فى الحوض وتقوم بغسلها .

مع الماء المتسرب من الحنفية هناك دموع لزينب ، هذه الفتاة التى لم يتعدّ عمرها الأربعة عشر عاما بعد ، لكنها ولعادات « كفر بولين » أصبحت « عروسة » كما تقول نسوة القرية عندما يرينها مع أمها فى أى طريق ، سنة وربما سنتان ويأتيها ابن الحلال ، لكن زينب - التى أسعدها الحظ ذات مرة وسافرت إلى الإسكندرية - رأت هناك البنات أكبر منها سنًا وغير متزوجات بعد. عرفت زينب تفاصيل كثيرة تخصّ الفتيات عندما سافرت إلى الإسكندرية ، رأت شعر البنات مفرودا غير محبوس فى ضفائر كالتى لها ، رأتهن عائدات من مدارسهنّ .

كانت عين زينب تراقب كل فتاة وكل امرأة وتبحث فى عقلها عن شىء مختلف بينها وبين كل هؤلاء الفتيات والنساء .

ربما لم يكن هناك شىء مختلف ، أو ربما لم يكن هناك شىء متشابه ، صحيح أن لكل النساء تركيبًا تشريحيًا واحدًا يسمونه « فسيولوجى » ، لكن كل النساء ، وليست النساء فقط ، بل كل إنسان مختلف عن الآخر ، مختلف فى ملامحه وطباعه وعاداته ونشأته ، فقط يجمع النساء شىء واحد هو كونهنّ إناثًا ، والرجال يجمعهم شىء آخر هو كونهم ذكورا .

لكن هذا التشابه فى النوع لا تظنه زينب كافيًا لتشعر أنها كغيرها من الفتيات ، فبرغم سعادتها بزيارة الإسكندرية إلا أنها شعرت بعد هذه الزيارة أنها ليست إنسانا كاملا .

تبكى زينب وتشعر أنها أقل من إنسان !

- ١ -

« يا أم زينب تحدثى إلى ابنتك . هى وحيدتك وسط كل هؤلاء الرجال ، فلماذا تتركينها تبكى كل صباح بينما أنت تراقبين دموعها فى صمت ، وأحيانا تتجاهلين هذه الدموع ؟ » ..

أم زينب تحدث نفسها كل صباح بهذا الكلام ، لكنها أبدا لا تتشجع وتتحدث إلى ابنتها .. لكن أم زينب التى راقبت فى عيون ابنتها نظرة حزينة أثناء زيارتهما إلى الإسكندرية قررت أن تتحدث إلى ابنتها فى اليوم التالى لعودتهما من الإسكندرية .

- كيف حالك يا زينب ؟

زينب التى تعجبت مرتين من سؤال أمها ، المرة الأولى لأن أمها تراها ، ولم يحدث أى تغيير ، والمرة الثانية لأن أمها لم تعتد أن تتحدث معها فى شىء غير ترتيبات المنزل والطعام ، وما شابه ذلك من أعمال منزلية ، لكن دهشة زينب لم تمنعها من الإجابة عن سؤال أمها :

- الحمد لله يا أمى .

- أشعر يا ابنتى أنك حزينة ، فلماذا تبكين كل يوم ؟

- فى الحقيقة يا أمى أشعر أننى لست ككل البنات .

- لماذا يا ابنتى ؟!.. أنت من أجمل بنات القرية ، أخبرينى عن واحدة أجمل منك ؟

- وهل تظنين يا أمى أن الشكل الحلو هو كل شىء ؟ هناك بنات أجمل منى بكثير .. سعاد مثلا ..

- سعاد ؟ ابنة أبلة انتصار؟! .. هم ناس غيرنا يا زينب ؛ ليسوا فلاحين .

- وهل يا أمى الفلاحون لا يتعلمون ؟

- لماذا تقولين ذلك يا ابنتى .. ألم يتعلم إخوتك ؟؟

- وأنا يا أمى لماذا لم أذهب إلى المدرسة ؟

- كنت تبكين كلما ذهبت إلى المدرسة يا حبيبتى ، فقال والدك أنك لا تريدين الذهاب إلى المدرسة .

- وهل كل طفل يبكى يا أمى فى اليوم الأول للدراسة لا يذهب بعد ذلك إلى المدرسة ؟

صمتت الأم التى وجدت فى كلام ابنتها كثيرًا من الحق .. كانت الأم لا تعرف لماذا أصرّ فريد زوجها على عدم تعليم زينب بحجة أن البنت لا فائدة من تعليمها فسنة وراء الأخرى ثم تذهب إلى بيت زوجها .

تعبت منصورة - والدة زينب - من الحديث مع زوجها فريد ، وتذكرت منصورة هذا الحوار وكأنه حدث منذ ساعات فقط .

- إن شاء الله يا أبا مجدى هذا العام تتم زينب عامها السادس ، فاحفظ لها نصيبها فى محصول القطن كى ندفع لها المصروفات المدرسية مثل إخوتها مجدى وحسين ومحمود .

- زينب منْ يا أم مجدى .. هل جُننت ؟

- زينب ابنتك يا رجل ؟ .. وما الجنون فى تعليم ابنتك ؟!

- هل تعلّمت أنت يا أم زينب ؟ أو تعلّمت أختك أو أمى ؟ نحن لا نُعلّم النساء !

- يا أبا مجدى كان ذلك فى الماضى ، وعلى الرغم من أننى لم أتعلّم فإن جدتى قد تعلّمت .

- جدّتك بنت مدينة .. أما نحن فلاحون .

- يا أبا مجدى هذا كلام قديم ، الدنيا تغيّرت وتنوّرت ، ألا تحب أن ترى ابنتك طبيبة أو مهندسة ؟

- وماذا ستفعل لنا ؟! .. ستذهب إلى بيت زوجها !

- وهل يضايقك أن تكون ابنتك طبيبة وهى فى بيت زوجها ؟!

- انتهى الكلام يا أم مجدى ، ولا أريد تكرار هذا الحديث مرة أخرى .

- يا أبا مجدى ...

- قلت لك : انتهى الكلام ، ربى زينب لتساعدك وتعينك فى أعمال المنزل وتساعدنى فى أعمال الحقل والزراعة حتى تكبر ويأتيها ابن الحلال .

انتهى الكلام بين الزوجين ، وفى شهر أغسطس من كل سنة يتكرر الحوار بأشكال مختلفة ، ولا شىء يتغير إلا طريقة نهاية الكلام ، فمرة يتركها فريد ويخرج من المنزل ، ومرة يتركها لينام ، ومرة يتشاجر معها .. كل ذلك والسنوات تمضى وزينب تكبر العام بعد الآخر ، وفرصتها فى دخول المدرسة تقل كلما كبرت .

- ٢ -

فى العام العاشر لزينب كانت تلك الواقعة التى بكت لها زينب كثيرًا وقررت ألاّ تذهب إلى بيت خالها جلال. هذا الخال الذى نال قدرًا من التعليم ليس بكبير ، فقد حصل على الشهادة الثانوية الصناعية ، لكنه كان يقرأ كثيرًا ويشاهد التلفاز (التليفزيون) ، وعندما تزوج اختار إحدى بنات دمنهور وكانت زوجته متعلّمة أيضا .

كان بيت الخال مختلفا عن بيت زينب ، فى ترتيبه وفى أثاثه ، وأيضًا فى أفكار ساكنيه ، فقد وقف الخال لزوج أخته فريد عندما جاءه فريد وقال له :

- سمعت أنك قدّمت لابنتك فى المدرسة !!

- وما العيب فى ذلك ؟!

- نحن لا نعلّم بناتنا يا جلال .

- كان ذلك قديما ، نحن الآن فى القرن الواحد والعشرين .. هناك قنوات فضائية وتليفزيون وكمبيوتر وأنت ما زلت تتحدث عن منع تعليم البنات ؟!

- وهل تترك ابنتك تخرج وحدها وتعود وحدها مثل الرجال ؟!

ضحك جلال وقال :

- منذ ستين عاما كانت جدتى تخرج وحدها وتعود وحدها ، ولولا هذه الآراء الغريبة لكانت أخواتى البنات قد تعلّمن .. لكن ماذا نفعل ما دام هناك - وبعد كل هذه الزيادة فى عدد السكان - من يريد أن يحبس ابنته ويمنعها من التعليم بحجة الخوف عليها من الخروج وحدها ؟!

لم تكن المناقشة بين فريد وجلال ذات جدوى وانتهت بأن قرر فريد بينه وبين نفسه أن يجعل العلاقة بينه وبين جلال وأسرته فى أضيق الحدود وتقتصر على المناسبات فقط .

ولذلك عندما لجأت منصورة والدة زينب إلى أخيها فى إحدى السنوات ليقنع زوجها بضرورة تعليم زينب ، كان اختيارها غير صحيح ، فجلال بعد هذه المناقشة أصبح واحدا من أهم الناس الذين يبتعد عنهم فريد ، ويحاول ألاّ يتحدث إليهم .

كان على منصورة أن تختار شخصا آخر .. شخصا قريب الصلة من زوجها ، أو شخصا يقدّره ولا يستطيع أن يرفض طلبه ، كالشيخ عباس إمام المسجد مثلا ، أو عم سمعان الذى يقضى معه فريد أوقاتا طويلة للحديث فى شئون الزراعة والمنحل الخاص بعم سمعان ..

على كل الأحوال : لجأت منصورة إلى أخيها الذى قدّم لابنته ليلى فى المدرسة هذا العام ، وكانت ليلى أصغر من زينب بثلاث سنوات .

جلال - عندما لجأت إليه أخته - تذكّر فجأة أن ابنة أخته لم تذهب إلى المدرسة واندهش من نفسه كيف لم يلاحظ أن هذه الفتاة لم تلتحق بالمدرسة!!.. ولذلك رأى أن من واجبه كرجل متعلم أن يؤدى دوره فى تعليم الآخرين ومحو العادات الخاطئة .

ذهب جلال إلى فريد وحاول أن يقنعه بكل الوسائل وكل الطرق ، لكنّ فريدا لم يكن مستعدا فى الأساس لأن يستمع لأىّ كلام من جلال ، ولم يُنصت السمع له وتظاهر فريد بالانشغال وقتها .

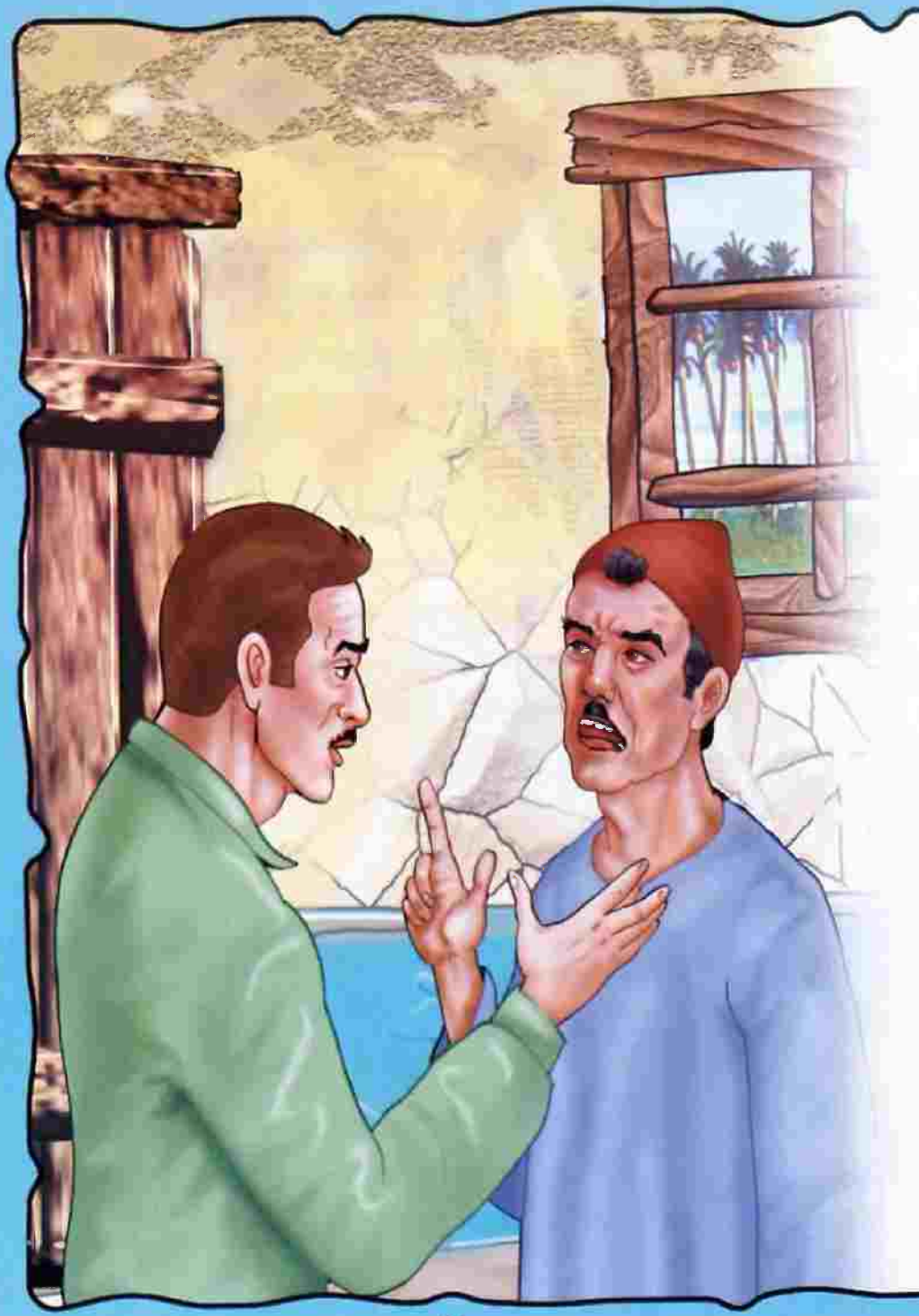

- ٣ -

نعود مرة أخرى إلى الواقعة التى أبكت زينب وهى فى عامها العاشر ، هذه الواقعة التى جعلتها تشعر بأنها ليست ككل البنات .

فقد ذهبت زينب بصحبة أمها لزيارة خالها جلال وكان ذلك بمناسبة أن خالها قد رزقه الله بمولود جديد ، فأسماه فريدا حتى يؤكد لزوج أخته محبته واحترامه .

المهم أن زينب ذهبت مع أمها ، وأول شيء لاحظته زينب أنها لم تكن تلبس مثل بنت خالها ليلى وصاحباتها . كانت ليلى ترتدى بنطلونا « جينز » وبلوزة لونها بنفسجى ، وتمشط شعرها بطريقة جميلة ، فأصبحت مثل الفتيات اللواتى يظهرن فى برامج الأطفال ، على العكس جاءت زينب ترتدى «جلاّبية» وشعرها ينتهى بضفيرتين .

كانت ليلى وصديقاتها يلعبن ويضحكن ، ويغنين أغانى قد تعلّمنها فى المدرسة ، وزينب تقف بعيدة بجوار الباب لكنها تسمعهن ..

إحدى صديقات ليلى سألتها :

- منْ هذه البنت التى تقف بعيدا يا ليلى ؟

فأجابت أخرى :

- لابد أنها الخادمة .

لكن ليلى - التى أسرعت تصحح المعلومة - قالت :

- لا .. إنها ابنة عمتى .

فسألت أخرى :

- ولماذا تلبس هكذا ؟!..

- إنها لم تذهب إلى المدرسة وتساعد والدها فى الزراعة .

أجابت ليلى الإجابة التى تعرفها عن ابنة عمتها ، لكن زينب التى سمعت حديث ليلى وصديقاتها حزنت لأنها شعرت أنها أقل من كل البنات وأن التعليم يعطى قيمة للإنسان هى تفتقدها الآن . هذه الواقعة جعلت منصورة أيضا تشعر أنها تقصّر فى حق ابنتها وأنها لا تهتم بملبسها .

- ٤ -

« كفر بولين » قرية مثل قرى كثيرة فى مصر وغيرها من الدول .. الأرض الزراعية هى مصدر الدخل فيها ، لكن المدينة تحاصر القرية من كل مكان ، وتمنح تفاصيل عديدة لأبناء القرية استطاعت التكنولوجيا الحديثة نقلها بسرعة فأصبح العالم أشبه بقرية مثل « كفر بولين » .. ولذلك لم يكن غريبًا أن تنتقل بعض عادات المدينة إلى القرية ، فشباب القرية اعتادوا الذهاب إلى مدينة « كوم حمادة » هذه المدينة التى تبعد فقط عشر دقائق ، وكذلك أصبحوا يذهبون إلى دمنهور وإلى الإسكندرية . أصبحت أى مسافة قريبة مادامت هناك وسائل مواصلات لها ، وخرج الناس من خوفهم القديم وتأكدوا أن « فى السفر سبع فوائد » كما تقول الحكمة القديمة .

الناس يشاهدون التليفزيون فيعرفون ما يحدث فى كل العالم فى نفس اللحظة ، ويتحدثون فى الهواتف (التليفونات) فيشعرون أن أى إنسان مهما كان بعيدًا فهو قريب ما داموا يسمعون صوته .

الأيام تمر وأهالى « كفر بولين » يعرفون الكثير .. بعضهم اشترى « أجهزة كمبيوتر » وبعضهم لديهم « تليفونات » فى منازلهم .

وحده فريد لا يريد أن يتغير ، فاستخدام الحيوانات فى حرث الأرض يستهلك يومًا كاملاً وربما يومين بينما «الجرّار» يُنجز ذلك فى ساعة واحدة .

فريد بدأ - بعد إقناع الكثيرين له - يستجيب لهذا التقدم ، لكنه يستجيب فى أشياء وأخرى يرفضها .. اشترى فريد « جهاز تليفزيون » وقدَّم طلبًا

لتركيب « تليفون » ، فقد كان يعلم أن ابنه مجدى فى الصف الثانى الثانوى وسوف يلتحق بإحدى كليات جامعة الإسكندرية ، ففكر فى أن « التليفون » سيكون ضروريًا فى هذا الوقت حتى يطمئن على ابنه .

شىء واحد لم يتغير فيه فريد ، وهو رأيه فى تعليم البنات ، وكأنَّ العالم كله يتغير ويقف عند زينب .

- ٥ -

هكذا اعتادت زينب أن تبدأ يومها ، بحزن لا يناسب شروق الشمس ، وكأن شروق الشمس يعنى لها يوما مؤلما جديدا .

تفكر زينب لماذا اختفت كل البنات اللاتى لم يتعلّمن من القرية وبقيت هى وحدها التى لا تعرف القراءة والكتابة .

تكبر زينب وتكبر أحلامها ، أحلام زينب هى شُرفتها الوحيدة على العالم، تحلم بأنها تعلّمت وكبرت وأصبحت طبيبة تخفف من آلام المرضى .. تحلم بأنها تعلّمت وكبرت وأصبحت مُدرّسة تهتم بتعليم الفتيات خاصّةً .. تحلم زينب بأنها تعلّمت وكبرت وفى كل يوم تختار مهنة جديدة ، فتكتشف زينب أن كل مهنة مهمة جدًا لكن كل أحلامها تبدأ بأنها تتعلّم ، حتى عندما تحلم بأنها تتزوج كانت تحلم بذلك بعد أن تتعلّم وتكبر وترى نفسها تربّى أولادها جيدًا .

« العلم يجعل للإنسان قيمة ، ويرفع من شأنه ويغيّر من شكله » ..

هذه الكلمات سمعتها زينب من خالها ، ربما لم تفهمها جيدًا لكنها تشعر بها ومتأكدة من صحتها .

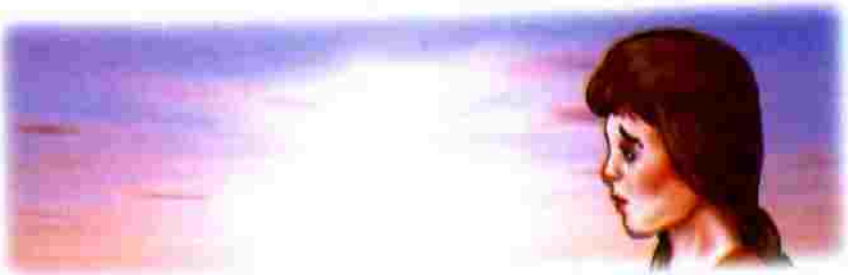

- ٦ -

الجدة عفاف .. الشخص الوحيد الذى لم تفكر فيه منصورة والدة زينب لتلجأ إليه ، ربما لأن الجدة عفاف تقيم عند ابنتها الكبرى ملك فى قرية «الدلنجات» ، وهى قرية تبعد نحو نصف ساعة عن « كفر يولين » .

« جدتى عفاف » نطقتها زينب ذات صباح وكأنها وضعت يدها على كنز.. وقتها ابتسمت والدتها وهللت لكنز ابنتها واحتضنتها ، وهى تنوى أن تنهى هذه المشكلة التى استمرت عدة سنوات .

سنوات طويلة مضت يا أم زينب لم تتذكرى فيها جدتك ، تذهبين لزيارتها وتحادثينها فى « التليفون » ، وكل ذلك لم يجعلك تلجأين إليها وهى المرأة المتعلمة الأولى فى العائلة ، هى التى دافعت من قبل لتعليمك ، وكانت العقبة الوحيدة أنه لا توجد مدرسة قريبة ، وقتها لم تكن الدنيا بهذه السهولة ، وعندما كثرت وسائل المواصلات وتعلّم الناس أن يسافروا ، لم تتراجع جدتك عن تعليم بنات خالاتك .. أنت فقط كان أبوك مثل فريد ، رفض أن تتعلّمى .. وتزوّجتى فريدا وأنت فى سن صغير .

منصورة شعرت بالأمل يعود إلى قلبها من جديد ، وهى ترى أن الجدة عفاف يمكنها أن تغيّر أشياء عديدة ؛ فاستأذنت منصورة زوجها لتزور جدتها وتقضى اليوم عندها وأن تصطحب زينب معها .

استعدّت منصورة وأعدّت ابنتها زينب ، بعد أن اشترت لها ملابس من الإسكندرية ، وشرائط لشعرها .

ألبست منصورة ابنتها أجمل الثياب حتى تجد زينب نفسها مثل كل البنات ولا تشعر أنها أقل من أحد .

نعم أصبحت زينب تشبه البنات فى كل مكان ، ترتدى الجيبات والفساتين وتمشط شعرها مثل كل البنات اللاتى يذهبن إلى المدرسة ، لكن شيئاً بداخلها يجعلها تشعر أنها أقل منهن .. شىء يسمونه «التعليم» ، فزينب ذات الأربعة عشر عاما لا تعرف القراءة أو الكتابة ، وفى أول مصادفة عندما يسألها أحد عن عنوان مكان سينكشف كل شىء ويعرف الآخرون أنها أقل من الجميع .

- ٧ -

يوم السفر يوم جميل عند زينب ، لم تعد الأحلام فقط نافذتها على العالم .. أيضا السفر.. نعم هى مرات قليلة التى تسافر فيها زينب لكنها تعنى لها الكثير.

اليوم يمتاز بميزات أكثر من كونه يوم سفر ، هو أيضا يوم سفر لزيارة الجدة عفاف ، هذه الجدة التى تملك فى خزانتها (الدنيا كلها) ..

تجلس زينب أمام جدتها وتقول لها :

- إننى أحبك يا جدتى .

تضحك الجدة وتقول لها :

- لماذا تحبيننى يا زينب ؟

- لا أعرف يا جدتى لكننى أحبك كثيرا .. وأتمنى أن أكون مثلك يا جدتى .

تضحك الجدة وتأخذ زينب فى أحضانها وتقول لها : ستكونين أفضل منى ألف مرة يا حبيبة قلبى .

فى خجل حكت منصورة أم زينب لجدتها الحكاية ، حزنت الجدة ، وتساءلت فى نفسها : لماذا لم تلتفت لأمر زينب كل هذه الفترة ؟.. لكنها أبدا لم تتخيل أن هناك أحدا فى هذا الزمان يفكر بهذه الطريقة ولا يعلّم ابنته لأى سبب .. فكرت الجدة وقالت لحفيدتها :

- تأخرت يا أم زينب كثيرا ، لكننا إن شاء الله سنفعل شيئا .

- نتمنى يا جدة ، ونعتمد على الله ثم عليك .

- علينا بالحيلة أولا يا أم زينب . فأحيانا تكون الحيلة أفضل فى إقناع الآخرين .

- قولى يا جدتى ماذا أفعل ؟

جاءت الفكرة فى عقل الجدة عفاف بسرعة ، وقالت لحفيدتها :

- سوف أطلب من المدرسة كتب « محو الأمية » ، وسأحضر غدا وأقيم عند جلال ، وكل يوم تأتين لزيارتى مع زينب ، ولنبدأ بالخطوة الأولى وهى أن تجتاز زينب امتحان «محو الأمية» ، وليفعل الله ما يريد..

- ٨ -

هل يتخيل فريد أبو زينب أن تكون زينب بكل هذا الذكاء والتميز ؟.. ربما ما جعل زينب ماهرة وسريعة التعلّم هو إرادتها ورغبتها فى التعلّم ، فالإنسان عندما يريد شيئا يصبح كل شىء فى طريقه يسيرا وسهلا جدًا .

تعلّمت زينب وحفظت كل حرف فى كتب « محو الأمية » عن ظهر قلب فى عشرة أيام بمساعدة جدتها .. لم تتعلّم زينب فقط وإنما تعلّمت معها والدتها منصورة أيضا.

وقررت الجدة أن تدخل كل من زينب ومنصورة امتحان « محو الأمية » وهنا تحدثت إلى حفيدتها والدة زينب قائلة :

- أخبرى فريدا أننى أريد رؤيته وسأنتظره غدا بعد العصر .

شعرت منصورة بالقلق وتحدثت إلى جدتها قائلة :

- هل ستخبرينه يا جدتى بأمر تعليمنا ؟

- طبعا يا أم زينب ، نحن لا نفعل شيئا خطأ حتى نخفيه ، كل ما كنت أريده هو أن أتأكد من مقدرة وذكاء زينب حتى تكون حُجَّتى قوية .

فى اليوم التالى حضر فريد لزيارة الجدة عفاف ، هذه الزيارة التى جاءت بناء على طلب الجدة .

للجدة عفاف منزلة كبيرة فى قلوب الجميع ، والكل يذكر لها فطنتها وذكاءها وقوة شخصيتها ووقوفها إلى جانب الحق .

لا أحد يمكنه أن يتأخر عن زيارة الجدة عفاف خاصّة إذا طلبت هى حضوره ، وبالتالى فإن فريدا فور علمه بطلب الجدة اختار جلبابا جديدا ، وذهب إلى الحلاق ، ثم عاد إلى المنزل واستحمّ ، وارتدى الجلباب الجديد ، فبدا كأنه عريس وأنه أصغر من عمره بكثير .

ذهب فريد إلى الجدة التى استقبلته بحفاوة شديدة ، وبعد شرب الشاى وتبادل أحاديث المودّة والسؤال عن الصحة ، أمسكت الجدة بكراسة وقالت لفريد :

- ما رأيك فى هذا الخط يا فريد ؟

- إنه جميل جدًا يا جدتى .. وعلى كل حال فصاحب الخط الجميل شخص ذكى .

- هل تصدّق أن صاحب هذا الخط لم يتعلّم ؟

- كيف يا جدتى .. هذا حرام طبعا ؟

- فهل توافق على أن تُقنع أباه بأن يجعل صاحب هذا الخط يذهب إلى المدرسة ؟

- بالطبع يا جدتى ، فكيف يترك أحدٌ ابنًا بهذا الذكاء والخط الجميل دون تعليم ؟

- إذن : صاحب الخط الجميل هذا هو ابنتك زينب ؟

اندهش فريد وتردد قبل أن يقول :

- لكن يا جدتى ؛ زينب لا تعرف القراءة !!..

- علّمتُها أنا القراءة والكتابة ؟

أ ب ت ث
ج ح خ د ذ
ر ز س ش
ص ض ط ظ
ع غ ....
أ ب ت ث
ج ح خ د ذ
ر ز س ش
ص ض ط ظ
ع غ ....

- وهى أيضا كبرت ولن تقبلها أى مدرسة !!..

- لا شأن لك بهذا الأمر .. سوف أتولاّه بنفسى ، فقط هل توافق على أن تذهب زينب لتتعلّم ؟

- الأمر لك يا جدتى .

هكذا بسهولة شديدة لم يستطع فريد أن يرفض طلب الجدة ، وفى خلال أسبوع كانت زينب تجلس فى لجنة الامتحان من أجل الحصول على « شهادة محو الأمية » ، هى ووالدتها .

- ٩ -

اجتازت زينب الامتحان بتفوُّق ، وكذلك أمها .. وكانت الخطوة التالية أن تتقدم زينب لامتحان «الشهادة الابتدائية» ، وكانت الفرحة كبيرة جدًا عندما اجتازت زينب امتحان «الشهادة الابتدائية» بمجموع وصل إلى ٩٥% .

وقتها شعر فريد كم أخطأ فى حق ابنته عندما حرمها من التعليم ، دون سبب حقيقى .. كان فريد فخورًا واسم ابنته وصورتها قد نُشِرَا فى الجريدة لكونها من المتفوقات على مستوى المحافظة .

الخطوة التالية كانت صعبة جدا ، فزينب التى بلغت من العمر خمسة عشر عاما أمامها ثلاثة أعوام حتى تلتحق بالمرحلة الثانوية التى ستقضى فيها ثلاث سنوات أيضا .. وقتها سيصبح عمرها واحدا وعشرين عاما قبل أن تتقدم للجامعة ، فكرت الجدة وقررت أن تذهب لمقابلة وزير التعليم .

فى مقابلة الجدة لوزير التعليم شرحت له ما حدث ، وكيف أن البعض يجد أن تعليم البنات بلا أهمية ، وكيف نهدر ثرواتنا عندما لا نراها ، تحدثت الجدة إلى الوزير كثيرا واستمع هو إليها بكل اهتمام ، وعندما انتهت الجدة من مقابلتها ، كانت قد حصلت على قرار وزارى استثنائى لتدخل زينب امتحان «الشهادة الإعدادية» دون المرور بالصفوف الأول والثانى ، بشرط أن تجتاز زينب الامتحان بنسبة لا تقل عن ٩٠% حتى تتمكن من الالتحاق بالمرحلة الثانوية .

إنه تحدٍ حقيقى يواجه زينب التى عليها - خلال عام واحد - أن تذاكر مواد ومناهج ثلاث سنوات .

فريد الذى أدرك خطأه حاول أن يساعد ابنته ، فاقترح عليها أن تقسم السنة ثلاثة أقسام ، فى كل فترة تذاكر منهج إحدى السنوات ، وقد أحضر لها المدرسين المختصين ليساعدوها ، وكذلك حاول إخوة زينب مساعدتها فى مراجعة الدروس ، وكانوا يشرحون لها الأشياء الصعبة حتى تفهمها جيدا .

اجتازت زينب امتحان «الشهادة الإعدادية» بمجموع ٩٨,٥% وكانت «الأولى» على محافظتها .

لا شك أن فريدا قد ندم كثيرا على رأيه السابق فى عدم تعليم البنات وهو يجد اسمه يتكرر نشره فى الجرائد بسبب تفوُّق ابنته ، وفى أحد البرامج التليفزيونية التى استضافت زينب - بعد أن علمت بحكايتها وتفوقها - سألتها المذيعة :

- لماذا أردت أن تتعلمى يا زينب ؟

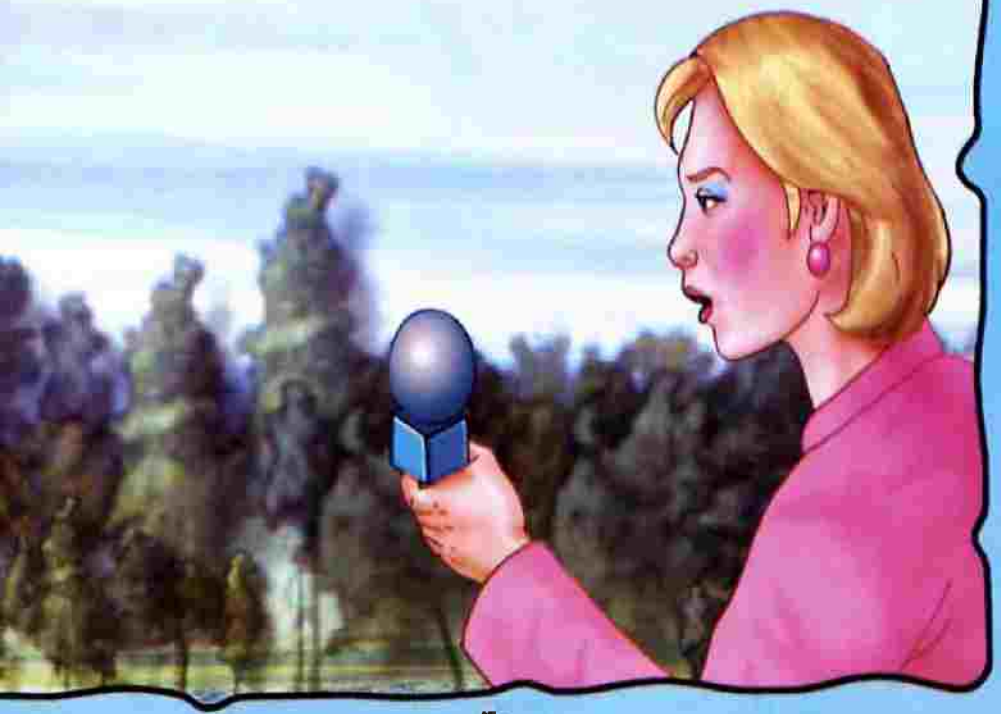

- سمعت خالي ذات يوم يقول إن العلم يعطي للإنسان قيمة .. وأردتُ أن تكون لي قيمة .

وعندما سألت المذيعة والد زينب : لماذا لم تعلّم ابنتك ؟! كان فريد في أشد الحرج ، لكنه أجاب قائلا :

- أعترف بأنني أخطأت في حق ابنتي ، وأعتذر لها ، وأقول لكل أسرة لها ابنة لم تتعلّم : يمكنكم اللحاق بالتعليم فهو « قيمة » كما تقول ابنتي .

لم يجد فريد عيبا في أن يعترف بخطئه عندما أخطأ ، وما فعله كان عين الصواب ، فنحن جميعا قد نخطئ ، ولكن الناجح فينا هو من يعرف خطأه ويتراجع عنه ويحاول تصحيحه .

تحكى زينب حكايتها لتلاميذها - بعد أن أصبحت مُدرِّسة - وقد اختارت هذه المهنة تحديدا رغم حصولها على مجموع كبير فى «الثانوية العامة» .. اختارت زينب أن تكون مُدرِّسة حتى تنشر « العلْم » .

زينب التى حصلت على قدر كبير من العلم فى وقت قصير مازالت تذكر عبارة خالها « إن العلم يعطى للإنسان قيمة » .. تتذكر زينب عبارة خالها وتشعر بأنها - هى الأخرى - أصبح لها الآن « قيمة » .

أما فريد الذى أصبح فخورًا بابنته ، سعيدًا بكونها تحمل اسمه ، أدرك أنه لا فارق فى التعليم بين الابن والبنت .. وعلينا أن نعلّمهما جيدًا ، لأن الحياة بدأت بآدم وحواء ، وتستمر بهما معًا .

* * *